الاستقراء والعلية

- **الاستقراء والعلية:** الاستقراء: هو المنهج التجريبي الذي يتم فيه الانتقال من الجزئيات إلى الكليات ، ومن البحث في الظواهر إلى القوانين العامة كما إذا أخذنا مجموعة من قطع الحديد ووجدناها تمددت بالحرارة فنخرج بحكم كلي وهو : أن الحديد يتمدد بالحرارة.
- وقد واجهت التجريبيين مشكلة في بنية الاستقراء وهي كيف يجوز الانتقال من الجزئيات إلى حكم عام لا ينطبق عليها فقط بل ينسحب على غيرها أيضاً في المستقبل ؛ وهم

رفضوا القول بأي مبدأ قبلي غير مستمد من التجربة ، فمثلاً: القول بأن النار تحرق تثبت خبراتنا في الماضي والحاضر صحته ، لكن ما الذي يضمن لنا أن النار ستحرق في المستقبل؟

- فقد واجه المذهب التجريبي هذه الثغرة التي استطاع المذهب العقلي معالجتها بأن أقام الاستقراء على مبدأ العلية

- **أما التجريبيون المنكرون للمبادئ القبلية ، فقد اختلفوا فيها إلى اتجاهات:**
- **الاتجاه الأول:** ومن أكبر ممثليه الفيلسوف التجريبي : جون ستيورات مل وهو يرى أن الاستقراء يفضي إلى نتائج يقينية وأنه مضطر إلى التعويل على مبدأ السببية (العلية).
- ولكن هذا الاتجاه يختلف عن المذهب العقلي في مصدر السببية فيردها إلى الحس والتجربة التزاماً بمذهبه ؛ فنحن نتعلم بالتجربة أن كل ظاهرة في الطبيعية هي مسبوقة

فندعوا السابق المطرد : علة ، واللاحق معلولا ؛ ولما كان (مل) يعلم أن ليس كل تعاقب مطرد يعتبر قانوناً أضفى على هذا الاطراد صفة الضرورة دون مسمى العلة (السابق الضروري) ولم يبين سبب ضرورته.

- وتتجه النظرية الماركسية في المعرفة هذا الاتجاه.
- **الاتجاه الثاني:** يرى هذا الاتجاه أن الاستقراء يقوم على قضايا ضرورية الصدق ، ثابتة بشكل مستقل عن الاستقراء.
- و يرى في الوقت نفسه أن هذه القضايا غير ممكنة ؛ وبناء عليه

لا يكون للاستقراء أساس يعتمد عليه ؛ فلا يتجاوز دوره تنمية الاحتمال بالنتيجة المطلوبة نتيجة تكرار التقارن بين السابق واللاحق ، وهذا هو الاتجاه السائد لدى الوضعية المنطقية والفلسفة العلمية كما أشار إلى ذلك رايشنباخ في كتابه نشأة الفلسفة العلمية.

- **الاتجاه الثالث:** وهو الذي يجرد الاستقراء من أية قيمة موضوعية ويفسر العلية بالعادة ، ورائد هذا الاتجاه هو : ديفيد هيوم ، وجاءت بعده المدرسة السلوكية الحديثة في علم النفس فأيدت اتجاهه

- وخلاصة ما يذهب إليه : أن فكرة العلية وليدة انطباع ناتج من تجاور ظاهرتين مرات عديدة ؛ ولكن بدون أن يكون فيها ضرورة ، فلا تعني أكثر من استعداد الذهن للانتقال من موضوع إلى فكرة ما يصاحبه عادة ، ولا شيء غير ذلك ولا خارجه وما ننسبه للموضوعات من سببية لا وجود له إلا في داخل أنفسنا ؛ ومن ثم لا داعي لافتراض وجود العلة بين الحادثتين في الخارج.

- **٤-الميتافيزيقا والأخلاق:**
- **١- الميتافيزيقا:** تطبيقاً للمبدأ التجريبي القائم على اعتبار مصدر المعرفة محصوراً بالحس وبالتالي مجالها بالمحسوس فقد رفض التجريبيون في جملتهم الميتافيزيقا .
- **الوضعية:** اعتبر (كونت) التفكير الميتافيزيقي مرحلة من مراحل الفكر تجاوزها الإنسان إلى مرحلة الوضعية بعد أن تخط مرحلتي الدين والميتافيزيقا.
- **الوضعية المنطقية:** تبرز الوضعية المنطقية على أنها نفي

للميتافيزيقا التي هي عندهم:(كل ما يشير إلى رؤية مغايرة للرؤية الوضعية التي لا ترى في العالم غير ما هو قائم برأسه وحاضر بجسده في الحس المباشر). وعندهم أن الميتافيزيقا جرثومة ضارة يجب القضاء عليها وهذا واجب كل وضعي.

- وإذا كان رفض الميتافيزيقا يتفق فيه التجريبيون عموماً ، فإن الوضعيين المناطقة يختلفون عن سابقيهم في منهج النقد لها فقد بنى السابقون لهم رفضها على أنها عديمة الجدوى أو أنها غير علمية كما أشار إلى ذلك (كونت).أما الوضعيون المناطقة

فقد رفضوها بحجة أنها خالية من المعنى لأنا لا نقع لقضاياها على تحقيق تجريبي ومن ثم: فهي مجرد لغو أي : ألفاظ لا رصيد لها سوى تركيبها اللغوي لا أكثر.

- **أما الماركسية:** فإنها تقيم نفيها للوجود الميتافيزيقي على الأساس الذي أقامت عليه منهجها في المعرفة وهو: نظريتها في الوجود التي تتصور فيها المادة هي الموجود الأزلي الأول وسواها موجود تال منبثق منها وهذا الوجود التالي هو الفكر الذي انبثق من المادة والذي شغل نفسه قديماً بتفسير طبيعة بدل تغييرها.

- **الأخلاق :** أما الأخلاق فقد اختلف التجريبيون بشأنها بعد اتفاقهم على رفض أي نوع من الأخلاق العالية أو أية محاولة لإقامة عالم للقيم أعلى من عالم الخبرة والتجربة الحسية فليس هنالك ضرورة عقلية فيما يتعلق بأصول الفضائل والرذائل هذا ما اتفقوا عليه لكنهم اختلفوا في تفسير القيم الخلقية الموجودة بصفتها سلوكياً اجتماعياً ضروري البقاء.
- **هيوم:** فأما هيوم فإنه قرر أن حياة الناس العملية يكفي فيها وحي الغريزة فمن وحي القلب والعاطفة تُستمد الأخلاق التي أساسها التعاطف والإنسانية التي تحملنا على محبة الخير للناس جميعاً.

- **الوضعيون:** أما الوضعيون فقد ردوا الأخلاق إلى المجال التجريبي وسعوا لإقامتها على الملاحظة ودراسة سلوك الإنسان كما هو موجود بالفعل لا كما ينبغي أن يكون ومعالجة الأخلاق بالمنهج الذي تعالج به الظواهر الطبيعية المادية فعلم الأخلاق عندهم يستمد مبادئه النظرية من علمي النفس والاجتماع ، أو علم العادات بصفة عامة.
- **الماركسية :** الأخلاق عند الماركسيين ليس فيها شيء مطلق وليست أولية عند الإنسان ولكنها صيغ عملية يتبادلها الناس

- نتيجة إملاء الأوضاع الاقتصادية في مرحلة من مراحل التاريخ ومن هنا فهي متغيرة بتغير الأوضاع الاقتصادية والمادية لأي مجتمع ولكل مرحلة من مراحل التاريخ كما أشار إلى ذلك إنجلز.
- **المنطقية الوضعية:** أما مناطقة الوضعية فقد سلطوا على الأخلاق سلاح التحليل اللغوي كشأنهم مع الميتافيزيقا ومن ثم قرروا أن البديهيات الأخلاقية ليست حقائق ضرورية لأنها ليست حقائق من أي نوع لأن الحقيقة كما

يرون صفة لقضايا أو أحكام والتعبيرات الأخلاقية ليست قضايا ولا أحكاماً ولكنها توجيهات والتوجيهات(الأوامر) لا يمكن إن توصف بصواب أو خطأ.

- ومن هنا فلا يوجد قيمة معرفية للأخلاق تماماً كالميتافيزيقا وبهذا ينبغي أن يفسر – كما يرى هؤلاء– إخفاق المذاهب الخلقية ؛ لأن المعرفة لا يمكن أن تقدم علم الأخلاق وما وجد من أخلاق ، فإنما كان ترديداً لأخلاق جماعات اجتماعية معينة : كاليونان والكنيسة الكاثوليكية ونحوها.

- لكن مع هذا كله فإن القضايا الأخلاقية تختلف عن القضايا الميتافيزيقية بأنها : ذات ارتباطات نفسية وإرادية وهذا هو الخيط الذي تعلق به بعض الوضعيين ؛ ليدرؤوا النتيجة السيئة التي يؤدي إليها هدم القيم الخلقية في حياة الناس ، فامتطوا الإرادة وسيلة لقيام أخلاق عملية بين الناس ، فلكل شخص إرادة ، وهذه الإرادة تسعى لتحقيق الهدف الذي رسمه الشخص لنفسه ، وهي تنزع لاتخاذ قرارات تساعدها على تحقيق هدفها ، هذه القرارات هي الأخلاق الشخصية للفرد

- وبما أنها ستصطدم مع قرارات الآخرين ؛ لذا فإن الصراع بين إرادات الأشخاص سيؤدي إلى صيغ جديدة لهذه القرارات تتحقق فيها أهداف الأشخاص ومسالمة الآخرين قدر المستطاع (وعلى ذلك فإن على من يريد دراسة الأخلاق أن لا يطرق باب الفيلسوف ، وإنما ينبغي عليه أن يذهب حيثما يدور صراع حول المشكلات الأخلاقية العملية ، عليه أن يعيش وسط جماعة تتدفق حيوية بفضل التنافس بين الإرادات).

أسئلة

- ١ – عرف الاستقراء .
- ٢ – عند أصحاب المذهب العقلي يقوم الاستقراء على مبدأ .....
- ٣ – تحدث عن موقف الوضعية المنطقية من الأخلاق .